

راعبي البحار

يعمل علي صقر السويدي، مؤسس ورئيس مجموعة الإمارات للبيئة البحرية، لحماية بيئة البلاد ونشر الوعي حولها منذ ثلاثين عاماً، ويحرص علي إشراك أبناء الإمارات بجهوده الحديثة لصون طبيعة بلادهم وكنوزها التراثية للأجيال القادمة

نص • هلا الخوري
صور • ألان ديسيديريو

تتحدّر السيارة عن الإسفلت لتسلك درباً رملياً باتجاه محمية جبل علي الطبيعية بجوار منطقة غنتوت. فتتبدّل المشاهد ويغيب ما تبقى من معالم المدينة لترسم أمامنا صورة هائلة للصحراء الإماراتية بأروع ألوانها قبيل المغيب. وفجأة يوقف السيد علي صقر السويدي سيارة الدفع الرباعي، ويدعونا للترجل منها مشيراً إلى جحر صغير تحيط به آثار أقدام ثعلب. وفيما يلفت نظرنا إلى المزيد من كنوز الطبيعة الصحراوية المكونة، ويغدق علينا بما يختزنه من معلومات حول بيئة موطنه بمختلف نواحيها وفصولها، يتجلى حرصه العميق عليها فيما يقول: "لقد ورثنا عن أجدادنا بحراً صافياً وصحراء نقية، فلم نبددهما؟ ينبغي علينا الحرص على بيئتنا لأجل أبنائنا".

يحدثنا علي السويدي بحكمة من علمته الأيام أن يتناول كل مسألة من جذورها، وأن يؤسس للمستقبل انطلاقاً من حكمة الماضي، فيقول: "نخطط دوماً للمستقبل، وقد وضعنا التوعية في مقدمة أولوياتنا، لذا نعمل لنشر الوعي حول البيئة بين الأطفال من مختلف الجنسيات لأنهم يمثلون المستقبل. وقد استضفنا عشرة آلاف طالب وطالبة من مختلف الجنسيات في المحمية، حيث تقدّم لهم فرصة للتعلّم عبر التطبيق، والعمل معاً كعائلة واحدة. وتعاون مع وزارة التربية والمدارس الخاصة لهذا الهدف، كما نهتم بأصحاب الإعاقة على أساس أنهم جزء أساسي من مجتمعنا. هنا يقوم الطلاب بزراعة شتول القرم بأنفسهم، ما يدفعهم للتفكير بظاهرة الاحتباس الحراري، كما يشاركون بعملية إطلاق الأسماك في البحر تذكيراً بأهمية الحياة البحرية". ويضيف: "نود أيضاً أن نلفت النظر إلى الجانب التراثي، والجذور الممتدة في عمق الزمن، فنلتم الطلاب حل الألغاز العربية ونعرفهم على أمثال قديمة منحدره من تراثنا. لقد عاش أهالينا حياة صعبة، ولا يجب أن ينسى الأبناء حياة الأجيال السابقة". لذا يحرص علي السويدي على تعريف الطلاب على العادات الإماراتية القديمة، بما فيها صيد اللؤلؤ وترميم القوارب، ويشركهم بمسابقات لتنظيف الشواطئ، كما يعلمهم كيفية قياس مستوى نظافة المياه، وحماية بيوض السلاحف البحرية، وغيرها من مهام تعنى بصون البيئة التي يعيشون فيها.

نتجول في المحمية برفقة علي السويدي الذي يعرفها ركناً ركناً، بما تضمه من مختلف معالم الحياة الصحراوية الفريدة. فيرشدنا إلى بعض من المائة وخمسين نوعاً من النباتات الصحراوية، مثل نبتة الرمرم التي يعتمد عليها الضب لمعالجة جراحه، ولا يهاجم الأفاعي إلا إن كان بجوار إحداها. ثم يشير إلى نبتة أخرى تفتت منها النعاج لتدر الحليب، وضب راقد لمحعه عن بعد أمتار. ◀



الصفحة ٣٩: علي السويدي في محمية جبل علي: هذه الصفحة من أعلى اليمن وبتجاه عقارب الساعة: في المحمية: خيمة تقليدية: مجلس للزائرين: علي السويدي يعزف زائرة على ضنب بري.

من المتدربين والمختصين الإماراتيين لمشاركته مسيرته النبيلة، حيث يقوم الفريق بمراقبة نوعية المياه وحماية الحيوانات البحرية على اختلافها، من حيوانات السلطعون الصغيرة التي تلعب دوراً كبيراً في تنظيف رمال الشواطئ، إلى أسماك الهامور المهتدة بالانقراض، فالسلاحف البحرية، والدلافين ذات الحذبة، التي عادت لتتكاثر في مياه الإمارات تحت أنظار المجموعة البحرية الساهرة عليها.

ويفضل معرفة علي السويدي العميقة لطبيعة البلاد، نجحت المؤسسة بالتوصل إلى حلول عملية لمعالجة العديد من القضايا البيئية. فحين ألححت الحاجة لتنمية الشعب المرجانية، واقترح البعض استخدام نماذج كروية الشكل تم تصنيعها في الخارج لتشجيع نمو الشعب، شكك السويدي بنجاحها باعتبارها لا تتماشى والبيئة المحلية، فابتدع تصميمه الخاص جاعلاً القطع على شكل أطر تتضمن ثقوباً أنبوبية لحماية الأسماك الصغيرة وتسهيل حركة التيارات المائية. فتكللت المهمة بالنجاح، وانتشرت الشعب في المياه الإماراتية خلال ثلاث سنوات. كما أوجد السويدي طريقة لنقل كمية كبيرة من الشعب الطبيعية إلى مواقع أخرى، لاقت نجاحاً مذهلاً.

نتوقف عند إحدى البرك الطبيعية الممتدة من البحر إلى داخل أراضي المحمية، فيشرع علي السويدي بإلقاء أسماك صغيرة في المياه. وفجأة تقترب بعض الظلال الشاحبة من الضفة، فمنع النظر بها لنكتشف أنها أسماك هامور يتم تربيتها في المحمية للإسهام في عملية إكثارها. لقد ترعرت ثلاثون من هذه الأسماك في كنف المحمية منذ ثلاث سنوات. وفيما يخبرنا أن الواحدة منها تبيض حوالي مائتي ألف بيضة، لا ينجو إلا واحد بالمائة منها، نتلمس مدى حرصه الكبير عليها، ولا نستغرب زيارته لها يومياً حتى بات ينادي كلاً منها باسمها. وفيما يتأمل علي السويدي مشهد المغيب في هذه البقعة الهائلة، ندرك أنه يتطلع لمستقبل مشرق، يتابع فيه الأبناء مسيرة الأجداد الذين أدركوا بحكمتهم الكبيرة أين تكمن كنوز بلادهم الأصيلة. ■

البحرية، فقد شجّع علي السويدي مجموعة من فتيات أبوظبي على العناية بالحيوانات الصحراوية المعرّضة للانقراض، وقد أثمر هذا التعاون نقل ما يقارب أربعة آلاف من الزواحف، ومائتي غزال وثلاثمائة أرنب بري، بالإضافة إلى حماية النباتات الصحراوية وبذورها. كما تلعب المتطوعات الإماراتيات دوراً كبيراً في تعريف الطلاب الأجانب على تقاليد الشعب الإماراتي.

يتأصل حب الحياة البحرية في جذور عائلة السويدي، ويسرد لنا مؤسس المجموعة ذكريات تناقلتها الأجيال عن رحلات البحث عن اللؤلؤ التي قام بها جدّه ووالده في الماضي. فيخبرنا كيف أصيب والده بمرض أثناء إحدى الرحلات التي كانت تستغرق ثلاثة أشهر، لم يسمح للغواصين خلالها العودة إلى البر. لكن جدّه رجع أدراجة خوفاً على صحة ولده، وأرسي السفينة عند شاطئ غنتوت. وهناك، قرّر أحد الغواصين أن يحاول البحث عن اللؤلؤ في المياه الضحلة، فعثر على دانة ضخمة لم يُعرف لها مثيل. ويضيف علي السويدي قائلاً: ”في تلك الأيام، كان الغواص يضع اللآلئ الكبيرة في فمه خشية فقدانها. ونظراً لضخامة الدانة، لم يتمكن الغواص من النطق، فاعتقد الجميع أن صمته كان بسبب الجن. ولحسن الحظ، بيعت تلك الدانة بمبلغ ٢٠٠ ألف روبية“.

من الواضح تماماً أن حب البحر دفع مؤسس المجموعة للانضمام إلى القوات البحرية والسعي لصون بيئة بلاده المائية. وقد نجح باجتذاب طاقم

وبعد قليل، يلفت نظرنا إلى سحلية بلون رمال الصحراء تدعى ”بونفيخ“، غفلنا عنها تماماً وهي على بعد مجرد خطوات منا. وفي كل محطة يكشف لنا عن مفاجأة جديدة، ويتجلى حرصه على تلك الكنوز الطبيعية التي لا تُقدّر بثمن، ومعرفته العميقة لبيئة موطنه الفريدة براً وبحراً. فقد أمضى أعواماً يغوص في أعماق البحار حتى بات في رصيده ما يقارب الثلاثين ألف رحلة غوص، وهو إنجاز لم يتوصل إليه سواه في الإمارات. تتبادر إلى أذهاننا صورة العالم البحري الشهير جاك-إيف كوستو، الذي فتح للعالم نافذة على الحياة المائية عبر أفلامه الوثائقية. ويرد علي السويدي قائلاً: ”التقيت بكوستو في مطلع الثمانينيات أثناء رحلة غوص في مصر، فنصحتني بتأسيس مجموعة بحرية تساندني في مساعي للحفاظ على البيئة البحرية“.

قام علي السويدي بتأسيس مجموعة الإمارات للبيئة البحرية في العام ١٩٩٥، وهي منظمة غير حكومية، تجهد من غير كلل للمحافظة على الحياة المائية في الإمارات، ونشر الوعي حولها. وقد انبرت المجموعة للقيام بخطوات عملاقة لمعالجة البيئة البحرية، مثل عمليات تنظيف المياه المحيطة بجزيرتي دلما وصير بني ياس بأبوظبي، والحفاظ على نظافة منطقتي البطين والمصنّف وغيرها. ولا ينحصر العمل بالبيئة

